يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ
إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ
٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ
مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠
وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ
أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ
لَا يَفۡقَهُونَ ٣ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ
تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ
عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

[٩] حث جل وعلا عباده المؤمنين علىٰ إجابة النداء للصلاة يوم الجمعة، فقال سبحانه: ياأيها الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ إذا أذن المؤذن بين يدي الإمام وهو علىٰ المنبر في يوم الجمعة للصلاة فامضوا إلىٰ ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة، واتركوا المعاملة بالبيع والشراء، واعلموا أن ذلك الذي أمركم الله به خير لكم من التشاغل بالبيع والشراء وابتغاء النفع الدنيوي إن كنتم تعلمون ما هو خير لكم.

ويوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع المسلمين والصلاة فيه وسماع الخطبة، وقد كان يسمىٰ قبل ذلك بيوم العروبة.

[١٠] فإذا فرغتم من أداء الصلاة أيها المؤمنون؛ فانتشروا في الأرض لطلب المكاسب والتجارات، واطلبوا الرزق من الله جل في علاه بالسعي والعمل، واذكروا الله ذكرًا كثيرًا في جميع أحوالكم - ولا تلهكم تجارتكم عن ذكر الله -، فمن أكثر من ذكر الله كان من المفلحين، الفائزين فوزًا عظيمًا.

[١١] ثم عاتب جل وعلا عباده المؤمنين الذين إذا رأوا تجارة قادمة، أو سمعوا أصواتًا مصاحبة للعير التجارية تعلن عن تجارتهم أنهم أحضروها للبيع؛ خرجوا من المسجد، وتركوك يانبي الله قائمًا، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم سمعوا تجارة قادمة وظنوا أنه بانتهاء الصلاة يصح لهم الانتشار لابتغاء الرزق؛ فذهبوا إلىٰ العير التجارية القادمة، وكان الرسول ﷺ يخطب؛ حيث إن الخطبة في ذلك الوقت كانت بعد الصلاة، ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء: اعلموا أن ما عند الله من ثواب الآخرة خير من اللهو والتجارة التي خرجتم إليها، ثم اعلموا أن الله خير الرازقين؛ لأنه مقسم الأرزاق.

سورة المنافقون

سورة المنافقون مدنيّة وآياتها إحدىٰ عشرة آية.

[١] عندما كان المنافقون يأتون إلىٰ رسول الله ﷺ في مجلسه كانوا يقولون علىٰ سبيل الكذب والمخادعة: نشهد يامحمد أنك رسول من عند الله حقًّا، والله جل في علاه يعلم أنك لرسوله؛ فلست بحاجة إلىٰ شهادتهم، ثم كذبهم الله في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ﴾؛ فقال: والله يشهد إنكم أيها المنافقون لكاذبون؛ لأنه يعلم أنهم في ضمائرهم مكذبون، وأنهم لا يعتقدون ذلك.

والنفاق نوعان: اعتقادي وعملي، والمقصود بهذه السورة الأول وهو إظهار الإسلام واعتقاد الكفر.

[٢] واعلم يانبي الله أن هؤلاء المنافقين جعلوا أيمانهم الكاذبة التي حلفوا بها وقاية وسترًا لهم لئلا يساء بهم الظن فيلاحقون ويعذبون، ثم إنهم من خلال هذه الأيمان الكاذبة ستروا كفرهم، ومنعوا من يأنسون إليهم ويجالسونهم من الدخول في الإسلام، ومنعوا من أراد الإنفاق في سبيل الله وذلك بالتشكيك في رسالة النبي ﷺ، ثم اعلم أن هؤلاء المنافقين أسوأ كفرًا وضلالًا من الكفار الصرحاء، ولذلك كان عذابهم في الآخرة أنهم في الدرك الأسفل من النار.

[٣] ثم بين جل وعلا أن ذلك الذي أخبر به سبحانه من كذبهم وخداعهم وصدهم الناس عن سبيل الله؛ سببه أنهم نطقوا بالشهادة ظاهرًا ثم كفروا بقلوبهم، فختم سبحانه علىٰ قلوبهم؛ حيث صارت لا يدخلها الإيمان جزاء نفاقهم ومعاداتهم الكامنة في نفوسهم والظاهرة علىٰ تصرفاتهم، ثم أكد سبحانه بأنهم قوم لا يعرفون الخير والإيمان.

[٤] ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ فقال له: وإذا رأيت يانبي الله هؤلاء المنافقين أعجبتك هيئاتهم ومناظرهم وأجسامهم، وإن تكلموا تسمع لكلامهم؛ لفصاحتهم وحلاوة منطقهم، وفي الحقيقة إنها أجسام خاوية من العلم والخشية من الله؛ كأنها خشب مستندة إلىٰ جدار لا تشفع ولا تنفع كما يقال، ثم ألا ترىٰ أنهم كلما سمعوا صوتًا مرتفعًا أو جلبة في معسكر ونحوه ظنوا أنها موجهة إليهم بسبب جبنهم وذلهم، واعلم يانبي الله أن هؤلاء المنافقين هم الأعداء الحقيقيون لك وللمؤمنين؛ فاحذرهم وحذر المؤمنين منهم، لعنهم الله وأخزاهم؛ بسبب مسالكهم وأفعالهم القبيحة، والعجب كيف يرون الحق واضحًا أمامهم ثم يصرفون عنه إلىٰ الضلال والنفاق؟.

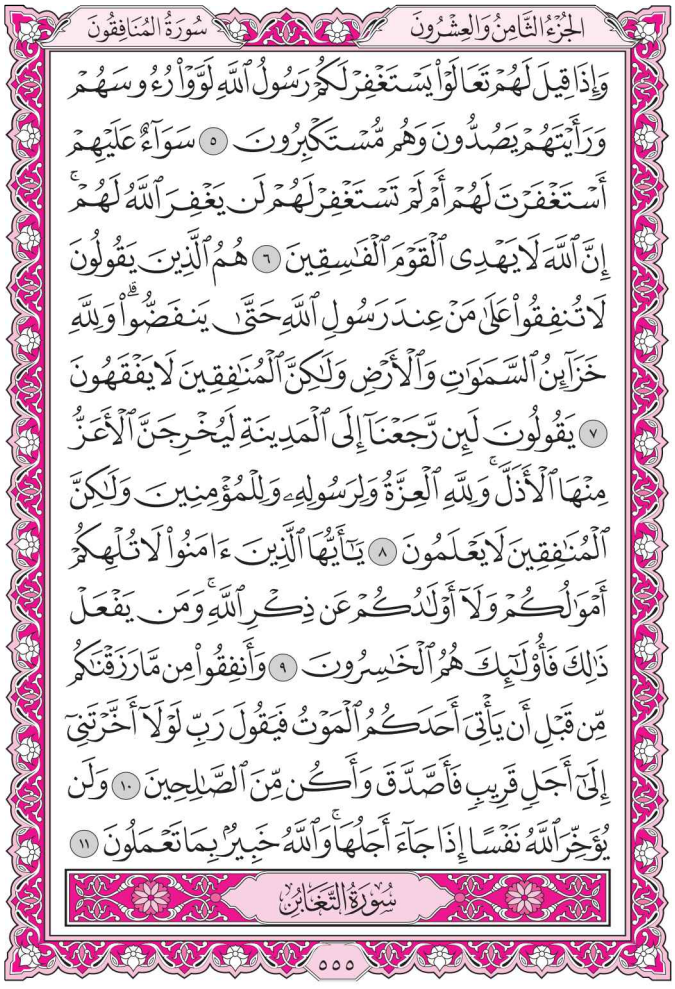

[٥] وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: هلموا إلىٰ رسوله ﷺ ليستغفر لكم، ويسأل الله أن يصلح قلوبكم ويطهرها؛ فما كان من هؤلاء المنافقين إلا أن أشاحوا برؤوسهم شمالًا ويمينًا استهزاءً وسخرية؛ بل تراهم يانبي الله يعرضون عن الناصح لهم بكبرياء وغرور.

[٦] واعلم يانبي الله أن هؤلاء المنافقين يتساوىٰ عندهم استغفارك لهم، وعدم الاستغفار لهم، وحتىٰ لو جاؤوك لتستغفر لهم فإنه جل في علاه لن يغفر لهم؛ لأنهم أصروا علىٰ الزيغ والضلال فطبع الله علىٰ قلوبهم فهم لا يؤمنون، واعلموا أن الله لا يوفق ولا يرشد القوم الجاحدين به وبآياته، الخارجين عن طاعته. وفي هذا إخبار من الله لنبيه ﷺ بعدم صلاحهم وهدايتهم.

[٧] ثم ذكر جل وعلا عداوتهم الظاهرة وشيئًا من فجورهم المستور، وذلك قبل غزوة تبوك؛ فأخبر سبحانه بأن هؤلاء المنافقين يقولون للأنصار: لا تنفقوا علىٰ أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين حتىٰ تصيبهم مجاعة فيتركوا نبيهم ﷺ، يقولون ذلك ظنًّا منهم بأن عدم الإنفاق علىٰ هؤلاء المؤمنين الذين هاجروا لله ولنصرة رسوله ﷺ فتركوا أوطانهم وأموالهم سوف يجعلهم يتفرقون فيتركون رسول الله ﷺ. وتكذيبًا لهم عقَّب جل في علاه علىٰ ظنهم السيِّئ فأخبر بأن لله خزائن السماوات والأرض، أي: إن الرزق أيها المنافقون بيده سبحانه وحده لا بأيديكم، ولكنكم قوم تجهلون بأن ما عند الله هو الرزق الأكمل والأعظم.

[٨] ومن أقوال هؤلاء المنافقين القبيحة قول رئيسهم عبدالله بن أبيٍّ: لئن عدنا من هذه الغزوة - وهي غزوة بني المصطلق - إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ويعني بالأعز نفسه ومن معه، وبالأذل رسول الله ﷺ ومن معه، هكذا سولت له نفسه؛ حيث زعم أنه عزيز، أي: ممتنع غالب، وأوغل في الفسق والفجور، فقال: ما نحن ومحمد وأصحابه إلا كما قيل: سَمِّن كلبك يأكلك، أما والله لأن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فكان الجواب الرباني: اعلموا أيها المنافقون أن العزة والغلبة لله وحده ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، ولكنكم لا تعلمون أن العزة والغلبة لأوليائه بسبب جهلكم وعنادكم.

[٩] ثم نهىٰ جل وعلا المؤمنين أن تصيبهم صفة من صفات المنافقين وهي أنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا، فقال سبحانه: ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ وعملوا بشرعه لا يشغلكم تدبير أموالكم، والعناية بشؤون أولادكم، عن القيام بحقوق ربكم، وأداء فرائضه التي طلبها منكم، واعلموا أن من انشغل بأمور الدنيا عن الدين فأولئك هم الأشقياء الذين بلغوا أقصىٰ درجات الخسران بسبب غفلتهم وبعدهم عن دين ربهم، وإيثارهم الفاني علىٰ الباقي.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ
خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ
مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن
يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ١١

سُورَةُ التَّغَابُنِ

[١٠] ثم حث جل وعلا المؤمنون علىٰ الإنفاق في سبيل الله، فقال: وأنفقوا أيها المؤمنين بالله ورسوله ﷺ بعضًا مما منحكم الله من الأموال، شكرًا علىٰ نعمه عليكم؛ من قبل أن يحل بكم الموت وتشاهدوا علاماته؛ فيقول عند نزول الموت به: يارب هلَّا أمهلتني وأخرت موتي فأتصدق بمالي، وأصبح تقيًّا صالحًا.
ويستفاد من الآية أن الصدقة من أسباب الصلاح وصدق الإيمان، كما أن المقصود بالإنفاق في الآية هو الإنفاق في الخير علىٰ عمومه؛ فيدخل فيه الإنفاق علىٰ الفقراء والمساكين وبناء المساجد وتجهيز المجاهدين في سبيل الله ودعم المشاريع الخيرية بأنواعها.

[١١] ثم بين جل وعلا لذلك الذي يريد أن يؤخر الله له في الأجل لكي يتصدق فقال: اعلموا يقينًا أن الله جل في علاه لن يؤخر نفسًا إذا جاء وقت موتها وانقضىٰ عمرها، ثم أخبر سبحانه بأنه مطلع علىٰ جميع أعمال عباده الظاهرة والباطنة، وأنه سوف يجازيهم عليها الجزاءَ الأوفى. وفي هذه الآية الحث علىٰ الاستعداد قبل حلول الأجل، وعلىٰ الإنسان أن يهيئ الزاد ليوم المعاد.